

ملكوت الله والولادة الجديدة

بقلم: شكري حبيبي

ما هي الولادة الجديدة؟ وماذا تعني بالضبط؟ وما هي علاقتها بملكوت الله؟ وكيف يمكن للإنسان أن يختبر هذه الولادة الروحية؟

ورد تعبير الولادة الثانية لأول مرة في العهد الجديد من الكتاب المقدس، في الإنجيل بحسب بشارة يوحنا، الأصحاح الثالث. وذلك عندما ذهب شخص فريسي ورئيس لليهود اسمه نيقوديموس لمقابلة الرب يسوع المسيح في الليل. بدأ نيقوديموس حواراً المثير مع الرب يسوع قائلاً: "يا معلم نعلم أنك أتيت من الله معلماً لأن ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التي أنت تعمل إن لم يكن الله معه." (يوحنا ٣: ٢) لكن الأمر المستغرب أن الرب يسوع أجاب نيقوديموس جواباً غير متوقع إذ قال له: "الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله." (يوحنا ٣: ٣) للوهلة الأولى يبدو أن جواب الرب يسوع المسيح لا علاقة له بسؤال نيقوديموس. فما هي علاقة الآيات أو العجائب التي يقوم بها الرب يسوع، بتأكيد المسيح له أنه أن يجب أن يولد الإنسان من فوق لكي يرى ملكوت الله.

لكي نستطيع أن ندرك معاني هذا الحوار المثير، علينا أن نعود إلى الخلفية التي انطلق منها نيقوديموس. فمن المعروف أن اليهود وقتذاك كانوا ينتظرون مجيء المسيح وعلان ملكوت الله. لكن الملكوت الذي كان اليهود يتوقعون من المسيح إعلانه، هو الملكوت الأرضي. الملكوت الذي يحررهم فيه الله من سلطة الرومان المستبدة، ويجعلهم يتسلطون على الأرض. وعندما أتى نيقوديموس إلى المسيح، أتى إليه بهذا التوقع. وكان كمن يبدي استغرابه، فمظاهر ملكوت الله واضحة في العجائب التي يجريها المسيح، والتي تؤكد على صحة إرساليته من قبل الله، لكن ملكوت الله هذا المتوقع لم يُعلن بعد. وكان كمن يتساءل: لماذا؟ ومتى سنرى هذا الملكوت؟

انطلاقاً من هذا الأساس، لم تكن إجابة المسيح لنيقوديموس، وكأنه يتحدث عن موضوع آخر، كما قد يظن القارئ لأول وهلة. بل على العكس تماماً، كانت هذه الإجابة ضمن المفهوم الذي انطلق منه نيقوديموس. ولهذا أكد المسيح لنيقوديموس أنه لكي يستطيع الإنسان رؤية ملكوت الله هذا، عليه أولاً أن يولد من فوق، أي عليه أن يولد ولادة روحية جديدة، ولادة ثانية. وتعبير آخر أراد المسيح أن يقدم لنيقوديموس المفهوم الصحيح لملكوت الله. ملكوت الله الذي يحرر الإنسان ليس من سلطة الرومان السياسية أو غيرهم، بل يحرره من عبودية الخطية، ومن سلطان إبليس، وينقله من الظلمة إلى النور، ويهبه خلاص الله الكامل. ولهذا يجب

على الإنسان لكي يرى ملكوت الله هذا، أو يدخل إليه ويختبره، أن يولد من فوق، أي عليه أن يولد ولادة جديدة، ولادة ثانية، ولادة روحية تتناسب والمفهوم الروحي الصحيح لملكوت الله.

لكن إجابة المسيح أثارت أكثر استغراب نيقوديموس فتساءل قائلاً: كيف يمكن للإنسان أن يولد وهو شيخ. أعله يقدر أن يدخل بطن أمه ثانية ويولد؟ يبدو واضحاً من تساؤل نيقوديموس معلم اليهود، أنه مازال يفكر تفكيراً أرضياً مادياً، بعيداً جداً عن الروحيات. وأنه لم يفهم بعد قصد المسيح من كلامه عن الولادة من فوق، وأنها ولادة روحية ولا علاقة لها بالبتة بالولادة الجسدية. لهذا تابع الرب يسوع موضحاً: "الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله. المولود من الجسد، جسد هو والمولود من الروح هو روح. لا تتعجب أنني قلت لك ينبغي أن تولدوا من فوق. الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها لكنك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب. هكذا كل من ولد من الروح." (يوحنا ٣: ٥-٨) يبدو واضحاً من إجابة المسيح لنيقوديموس، أن الولادة الثانية هي ولادة من الله عن طريق روحه القدس. ولهذا قال عنها المسيح أنها الولادة من فوق، أي من الأعالي من السماء، مصدر الطاقة الروحية. وأن هذه الولادة لا علاقة لها بالولادة الجسدية، كما ظن نيقوديموس. وأنه كما أن الإنسان يولد ولادة جسدية من بطن أمه، هكذا عليه أن يولد مرة ثانية، بواسطة روح الله القدس، إذا أراد أن يدخل إلى ملكوت الله. أما كيفية حصول هذه الولادة الروحية، فلقد شبهها المسيح بالريح التي تهب ونسمع صوتها لكن لا نعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب. فلا أحد يعلم بالضبط كيف تحصل الولادة الجديدة، لكن الإنسان نفسه يرى نتائج هذه الولادة الروحية في حياته. وبالنتيجة إن الولادة الروحية تؤهل المرء للدخول إلى ملكوت الله، ويصبح بالتالي من أولاد الله. ولقد أشار البشير يوحنا في الإصحاح الأول من بشارته إلى هذه الولادة الجديدة عندما كتب قائلاً: "وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه. الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله." (يوحنا ١: ١٢ و١٣). إذن إن هذه الولادة الروحية لا علاقة لها بالنسل الجسدي، أو بالولادة الجسدية الطبيعية، بل يقوم بها الله نفسه بواسطة روحه القدس. وهي أيضاً لن تقتصر على شعب معين، بل ستشمل كل من يقبل أو يؤمن بالمخلص المسيح.

لعل السؤال الآن: ماذا علينا أن نفعل لكي نختبر نحن اليوم هذه الولادة الروحية الثانية؟ للجواب عن هذا السؤال علينا أن نعود إلى الحوار الذي دار بين الرب يسوع المسيح ونيقوديموس. فلقد تابع الرب يسوع حديثه قائلاً: "وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يُرفع ابن الإنسان لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية. لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية." (يوحنا ٣: ١٥ و١٦) نلاحظ أن الرب يسوع المسيح عاد إلى حادثة تاريخية مدونة في العهد القديم، لكي يوضح لنا كيف نحصل على الولادة الروحية. فعندما تدمر الشعب قديماً على الله وعلى نبيه موسى، أرسل الله الحيات السامة التي لدغت الكثيرين منهم وماتوا. وعندها صلى موسى لأجل الشعب. فطلب منه الله أن يصنع حية

نحاسية ويرفعها على راية. وهكذا نجا كل من نظر إلى الحية النحاسية. وأضاف المسيح قائلاً أنه كما نجا الشعب قديماً بالنظر إلى الحية النحاسية، هكذا ينجو اليوم من سم الخطية المميت والقاتل كل من ينظر نظرة الإيمان إلى الفادي المسيح وعمله الكفاري على الصليب. هذا هو دليل وبرهان محبة الله العظمى لنا نحن البشر جميعاً، أنه بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية. فعندما ينظر الإنسان نظرة الإيمان هذه يغفر الله ذنوبه، ويلده ولادة روحية جديدة، ويغدو خليفة جديدة، ويصبح من أولاد الله، ويهبه الله في نفس الوقت الحياة الأبدية.

ألا تود قارئ العزيز أن تختبر هذه الولادة الروحية الجديدة مع بدء العام الجديد؟ وهكذا تحصل على هبات الله العظمى وتدخل إلى ملكوت الله.